اشكالية التوثيق للثورة التحريرية الجزائرية من الداخل (1954-1962)

أ.د إبراهيم مهديد
جامعة وهران 1- أحمد بن بلة

توطئة

سعت ونبهت كثير من الأقلام الجزائرية الأولى والمهتمة بكتابة تاريخ الجزائر وثورتها العظيمة كـ"صالحي محمد شريف"[1] و"جندر محي الدين"[2] و"أبو القاسم سعد الله"[3] وغيرهم من الأساتذة الجامعيين – والمحاولين إلى ضرورة " بداية " تأسيس مدرسة تاريخية جزائرية ذات الشروط العلمية والأكاديمية على شاكلة مراكز البحث العالمية ذات الديمومة والنفس الطويل مع الإنتاج والإبداع الغزير .جاءت الدعوة الملحة تدعيما لتجربة "إتحاد الكتاب الجزائريين" وتقوية لمسعى "إتحاد المؤرخين الجزائريين " الفتي.

فالمسألة ظلت تتراوح بين الأماني والعاطفة والانتظار.

فتشييد صرح المدرسة التاريخية الجزائرية تستدعي الشعور" بالمسؤولية الوطنية"أولا بما تحمله من روافد سياسية وعلمية وربطها بالشروط الأكادمية من أطر وباحثين ومفكرين منتجين مع توفير

[1] Salhi Mohamed Chérif, Décoloniser l'Histoire, introduction à l'histoire du Maghreb, édition Maspéro, 1965.

[2] Djender Mohiédine, introduction à l'histoire de l'Algérie, édition entreprise nationale de livre, Alger, 1991 ;

[3] - سعد الله أبو القاسم ،أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ،مطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1978.

الجانب المادي اللازم لإنجاح هذا المشروع الوطني تقليدا بـC.N.R.S وC.R.E.S.M وغيرها من مراكز ودور البحث العالمية–حيث تصبح ركيزته الأساسية متمثلة في توفير " الرصيد " المعارفي من مصادر ووثائق ومراجع، فإشكالية التوثيق تظل أمرا جوهريا في هذا المضمار.

-المحاولة الأولى لمقاربة تاريخ الثورة

أما بخصوص " توثيق " الثورة الجزائرية والعناية بتراثها والقيام بنشره وتفسيره سواء من قبل الهيأة الرسمية التي تحمل فلسفة الدولة لإبراز تلك الاتجاهات والمواقف الاديولوجية نحو المستقبل على ضوء فلسفة الثورة نفسها،أم تعلق الأمر بالكتابة العامة من غير المتخصصين من"صحافيين" وأدباء وكتاب ملهمين بمعالجة وقائع وأحداث وظروف تتعلق بمجريات الثورة الجزائرية للإشادة"بأبطالها وسمو أهدافها" أو فيما يتصل بالكتابة العلمية والأكاديمية،فالأمر يتطلب توفير المادة التاريخية اللازمة،أي توفير جميع أنواع الوثائق والوسائل المرافقة لها .

لقد تتبعنا حينئذ تلك الخطوات العملية،تطبيقا للقرارات والمراسيم الرسمية (منذ السبعينيات من القرن الماضي) لجمع وثائق الثورة من أرشيف مكتوب وشهادات فردية وجماعية عبر نواحي ولايات القطر الجزائري حيث أشرفت بكل مسؤولية محافظات وقسمات جبهة التحرير الوطني على هذه "المهمة"الصعبة وأوكلت الدور لإداريي ومثقفي ومناضلي الحزب آنذاك.

إن المتتبعين الجزائريين من المؤرخين وعلماء الاجتماع والسياسة والمعنيين مباشرة " بنتائج" تلك العملية ظلوا في ترقب مستمر – ولازالوا – لمعرفة محتوى هذا الانجاز المتعلق بذاكرة الأمة الوطنية وذلك بطرح العديد من الأسئلة والانشغالات التي تدور حول :

كيفية جمع هذا "التراث" وكيف صنف وكيف رتب والى أية جهات أرسل واستقبل.وهل أستعين في هذه العملية بمختصين حينذاك، ناهيك عن الإجراءات التقنية والخطوات العملية لتبويبه منهجيا مع توفير الشروط اللازمة لحفظه وبقائه.

بقي الأمر محيرا طوال عقود، وعلى مستويات متفاوتة لدى الباحثين المهتمين للتعبير عن القلق والذي ينتابهم لما يلاحظون من فراغ وفقدان " للفهارس" و"الجداول" و"صف للرصيد الوثائقي" – لنسميه الداخلي للثورة – وكل ما ينوط بإداعته ونشره، قصد استغلاله واستثماره في الكتابة التاريخية عن قرب خصوصا أن الإمكانيات والوسائل العصرية " للتبليغ " أصبحت في متناول العام والخاص.

إن البحث العلمي بالنسبة لتاريخ الثورة الجزائرية ظل وأصبح مفتقدا حاليا لإحدى الركائز الأساسية التي تحرمه من تجلي وتبصر عميق عندما يحاول مقاربة أي موضوع «داخلي" يرتبط بمسألة "الثورة الجزائرية" بجوانبها العديدة والمختلفة وداخل الولايات التاريخية[1].

وفي إطار إشكالية الوثائق والإنتاج التاريخي حول"الثورة الجزائرية"قد يجيب مهتم أن سوق الكتب ومعارض الكتب هي زاخرة بما يفي لمعرفة تاريخ الثورة الجزائرية ومراحلها. وأن هناك"أرشيف الثورة الجزائرية"للباحث حربي محمد[2]وهناك مرجعيات فرحات عباس

---

[1]- طالع انطباعات سعد الله أبو القاسم .نفس المرجع أعلاه ،« عن تدوين تاريخ الثورة وتنظيرها »،ص ص 44-45. وأيضا: وهل التفتح والانفتاح الحالي بإمكانه القضاء على " مركزية " الحضور الأرشيفي للثورة ؟، طبعا مع الاجتهاد بمسؤولية لإرجاع – وإيداع – هذا الأرشيف إلى عواصم الولايات التاريخية السابقة.

- PervilléGuy, Bibliographie de la guerre d'Algérie, in Annuaire de l'Afrique du Nord, 1976, pp 1337-1363 et.. Meyenier Gilbert, Histoire Intérieure du F.L.N (1954-1962), édition Librairie Arthure fayard, pp09-10.

[2]- Harbi Mohamed, Les Archives de la Révolution Algérienne, les éditions jeune Afrique, Paris 1981. Cf : Harbi Mohamed, le F.L .N – Mirage et Réalité des origines à la prise du pouvoir, les éditions Jeune Afrique, Paris 1981.

وعلي هارون وسليمان شيخ[1] ومحمد تيقيا[2] وغيرهم من الأقلام الوطنية والأقلام الأجنبية التي عالجت موضوع الثورة الجزائرية بعطف وموضوعية على نمط " هنرى علاق" [3] و " أندرى موندوز" [4].

فالجواب الموضوعي في هذا المضمار أن الفراغ لايزال رهيبا عندما يتعلق الأمر بمعالجة ومقاربة تاريخ الثورة الجزائرية"داخليا" ونعني بذلك التطرق إلى جميع مواضيع الثورة داخل الأرياف والقرى والمدن فمنها ما يتعلق بطرق التجنيد في المرحلة الأولى من الثورة ووصف تلك العلاقة بين سكان القرى الريفية والمشاتي مع رموز الوحدات القتالية الثورية، إضافة إلى التطرق إلى المظاهر الأخرى التي تتصف بها مناطق الولايات التاريخية من تعداد للسكان وتوفير الإحصائيات حول القرى المهجورة والمحتشدات كالتي قدمته دراسة الباحث ميشال كورناطون مثلا:

Michel Cornaton ,« Les camps de regroupement de la guerre d'Algérie », réédition L'Harmattan, 1988.

أو تلك المواضيع المرتبطة بالتنظيم العسكري الداخلي وتنظيم الوحدات القتالية عبر مناطق الولايات التاريخية والدعم الشعبي له داخل المدن من تجنيد للشباب المتحمسين، مع إبراز دور العمال الجزائريين كرافد ثوري لاحق.

أما الجانب الثاني من هذا الجواب الموضوعي فيفضي إلى التطرق من وجهة وطنية" إلى ردود الفعل العسكري الفرنسي اتجاه مسار

---

[1] - Chikh Slimane, l'Algérie en armes ou le temps des certitudes, édition O.P.U/ Economica, Alger, Paris, 1981.

[2] - Teghia Mohamed, Algérie en guerre, édition O.P.U, Alger, 1980.

[3] - Alleg Henri, la guerre d'Algérie, 03 volumes, édition Temps actuels, 1981.

[4] - Mandouze André, la Révolution Algérienne par les textes, édition Maspero, 1963.

الثورة الجزائرية وانعكاساتها على طبقات وفئات الشعب الجزائري[1] خلال هذه الفترة من الإكثار من المحتشدات الإجبارية ومراكز التجمعات الكبيرة وتهجير السكان إليها وذلك لفصل جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير شعبيا بمضاعفة المناطق المحرمة مع مراكز التعذيب[2]؛ ناهيك عن انعكاسات الإستراتيجية العسكرية الفرنسية بإقامة سدي "شال" و"موريس" الشائكين على مسار الثورة وانحسارها مرحليا ومدى تأثيرها على سكان المنطقة الشرقية والغربية من الوطن. **فكل هذه المظاهر تشكل مواضيع بحث في الكتابة التاريخية.**

ولكي تكتمل الصورة الداخلية فلا مناص من تسخير الأرشيف الوطني للثورة الجزائرية ونعني به كل ما دونه القادة العسكريون والسياسيون داخل المناطق والولايات التاريخية من تقارير عن الأوضاع الحقيقية المرتبطة بهذه الثورة ؛ **فهذه التقارير هي الشهادة الحية لأي تأليف** حقيقي وموضوعي في مجال الكتابة التاريخية؛ وهو مانصادفه من حين لآخر في تأليف شهادات بعض الرموز الثورية ومذكرات القادة العسكريين والسياسيين أمثال "علي كافي"[3] و"خالد نزار"[4] و"بن سعدون

---

[1]- ظلت الانعكاسات قوية وسلبية على طبقة الفلاحين والمزارعين الجزائريين جراء تلك السياسة الاضطهادية، الأمر الذي زاد في تفكيك هذه الطبقة واضعافها ماديا واجتماعيا طيلة فترة 1954 -1962 : طالع في هذا الصدد

- Sayad Abdelmalek et Bourdieu Pierre, « le déracinement. La crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie », édition Minuit, 1964, et Launnay Michel, « paysans Algériens : la terre, la vigne et les hommes », édition Le Seuil, 1963.

[2]- لمعرفة مدى قساوة رد فعل الجيش الفرنسي اتجاه سكان المناطق وممارسة كل أشكال التعذيب، لا مناص

من مراجعة مؤلفي - ناكيت بيار فيدال :

- Vidal Naquet Pierre,« Les crimes de l'arnnée française», Editions Maspero, 1975 & «La torture dans la République » , édition Minuit, 1972.

قارن أيضا :

- Kessel Patrick et Pirelli Giovanni, « le peuple algériens et la guerre, Lettres et Témoignages 1954-1962 », édition Maspéro, 1963.

[3] - Kafi Ali. du Militant politique au dirigeant militaire (Mémoire 1946-1962), Casbah édition, Alger, 2004.

[4] - Nezzar khaled, « Mémoire du général Khaled Nazzar », Préface de Ali Haroua, édition chihab, Alger, 1999.& Algeri (1954 -1962) journal de guerre ,Editions ANEP, 2004.

أحمد"[1] و"محمد زرقيني"[2] و"محمد بن شريف"[3] وآيت أحمد الحسين[4] وفرحات عباس[5] وبن يوسف بن خدة[6] ومحمد قديد[7] وسي لخضر بورقعة[8] وغيرهم .

-أهمية تقارير المسؤولين في الداخل

ولتجسيد الفكرة أكثر حول أهمية تقارير "الداخل" نسبة إلى تقارير المسؤولين السياسين والقادة العسكريين في الخارج – أي في تونس والمغرب – حيث حضور كل من" المجلس الوطني للثورة الجزائرية" و"لجنة التنسيق والتنفيذ" (C.C.E) و"الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية" (G.P.R.A) بعدهما مع"قيادة الأركان العسكرية"، فان التقارير حول الوضع في الداخل هي" شحيحة جدا " إن لم نقل تكاد تنعدم في أدبيات هذه الأجهزة والمؤسسات السياسية والعسكرية العليا.

فعلى سبيل المثال وعندما يتفحص الباحث لأهم مرجع حول وثائق الثورة الجزائرية – حاليا – وهو ماقام بجمعه الباحث محمد حربي[1] حول :

---

[1] - Bensadoun Ahmed, « Guerre de libération, parcelle de vérités de la wilaya05 , Oranie» édition el Boustane, Tlemcen. 2006.

[2] - Zerguini Mohamed, « une vie de combat et de lutte, Témoignages et Appréciations », édition Ennahda. Alger. 2005.

[3] - Bencherif Mohamed, « L'aurore des Mechtas : quelques épisodes de la guerre d'Algérie », édition S.N.E.D, Alger, 1969.

[4] - AIT –Ahmed Houcine , La guerre et l'après – guerre ,Editions de Minuit ,Paris 1963.Réédition Scolie ,Alger ,2013 -& Mémoires d'un Combattrant : l'esprit d'indépendance,1942-1952, éditions Bouchene ,Alger,1990.

[5] - FERHAT Abbas, Autopsie d'une guerre, éditions Garnier ,1980.

[6] - BEN KHEDDA Benyoucef ,Les Origines du 1er novembre1954 ,éditions Dahlab ,Alger 1989 -& BEN KHEDDA Benyoucef, Abane –Ben M'hidi : leur apport à la Révolution Algerienne ; éditions Dahlab, Alger ,2000.& BEN KHEDDA Benyoucef, les Accords d'Evian , éditions O.P.U ,Alger 1986.

[7]- قديد محمد ،الرد الوافي على مذكرات كافي ،طبعة دار هومة للنشر والتوزيع،الجزائر ،2001.

[8]- الرائد سي لخضر بورقعة ،مذكرات شاهد على اغتيال الثورة ،طبعة دار الحكمة ،الجزائر ،2000.

«Les Archives de la Révolution Algérienne »[2] يلاحظ بنقد موضوعي خلو ذلك الجانب المهم والأساسي لمعرفة ولمس " الوضع الداخلي في الجزائر ". فإذا استثنينا بعض الوثائق من هذا المرجع الضخم - وذي الأهمية التاريخية الكبيرة – فان محتواه يضم إجمالا وبعناية منهجية تلك الوثائق والمذكرات والتقارير (Rapports de Synthèse) السياسية والدبلوماسية والمرتبطة أساسا بنشاط مؤسسات الثورة الجزائرية من " مجلس الوطني للثورة الجزائرية" و" جبهة التحرير الوطني" و"لجنة التنسيق والتنفيذ" و"الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية " خلال فترة 1954 و1962.

إن محتوى هذا المرجع أو المصدر رغم أهميته التاريخية **قبع وانحصر** في صميم أرشيف المؤسسات والهيئات التابعة للثورة

---

[1]- بعد حضور ودراسة بفرنسا ،سيلتحق محمد حربي بديوان وزارة القوات المسلحة خلال عهدة كريم بلقاسم، الأمر الذي جعله في مركز للاطلاع على جميع التقارير والمذكرات السياسية والعسكرية والدبلوماسية والمرتبط بنشاط مؤسسات الثورة الجزائرية، وهو ما " ألهمه " التفكير في " تجميعها" وترتيبها قصد نشرها في المستقبل عام 1981.

[2]- إن محتوى هذا " المرجع –المصدر" يضم إجمالا وبعناية منهجية تلك الوثائق والمذكرات المرتبطة بالتنظيم السياسي الوطني قبيل اندلاع الثورة الجزائرية من :« حزب الشعب الجزائري وحركات انتصار الحريات الديمقراطية (من صفحة 15 إلى صفحة 100، وهي في 12 وثيقة) وما تلته من تطورات بعد 1954 وحتى اجتماع 28 أوت 1957 للمجلس الوطني للثورة الجزائرية (من صفحة 101 إلى 180 وهي في 23 وثيقة) ويردفه في مرحلة ثالثة بموضوع « البحث عن نفس ثاني لجبهة التحرير الوطني » (من صفحة 181 إلى صفحة 231 ضم 12 وثيقة) وفي مرحلة رابعة تلاه موضوع « تصاعد الأخطار» (من صفحة 232 إلى صفحة 311 ضم 08 وثائق)، وفي مرحلة خامسة تلاه موضوع « أزمة جبهة التحرير الوطني »(وهو في 16 وثيقة بين صفحة 312 وصفحة 357) وفي مرحلة سادسة عولج موضوع « زوال الحركة الوطنية الجزائرية [لمصالي الحاج] »(وهو في 05 وثائق من صفحة 358 إلى 380)، فموضوع « السياسة الخارجية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية » (وهو في 14 وثيقة، من صفحة 381 إلى صفحة 412)، ثم موضوع « العلاقات المغاربية »(وهو في 07 وثائق، من صفحة 413 إلى صفحة 462)، تلاه موضوع « العلاقات الجزائرية – الإفريقية » (وهو في 04 وثيقة، بين صفحة 463 إلى صفحة 487)،وأخيرا موضوع « العلاقات بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والدول الاشتراكية » (وهو في 15 وثيقة بين صفحة 488 وصفحة 533).

الجزائرية كما أسلفنا العرض ولم يقارب أحوال الثورة الجزائرية وظروفها في داخل الوطن وتطوراتها الميدانية طيلة تلك الفترة.

إن الاستثناء في هذا كله يلامس في بضع سطور ما احتوته محاضرة لخضر بن طوبال بصفته وزيرا للداخلية يوم 5 فبراير 1960 أمام إطارات جبهة التحرير الوطني في المملكة المغربية؛ اذ تشير هذه المحاضرة (الوثيقة رقم 55) فقط إلى تمكن "الثورة" من تحقيق عملية "الاتصال فيمابين الولايات" والنجاح في "توحيد الجيش الوطني"؛ سبق هذه المحاضرة في 5 أوت 1958 تقرير من طرف كريم بلقاسم موجه إلى "لجنة التنسيق والتنفيذ" يفيد عن "الحالة المرضية في الداخل" [1]، وهو ماينفيه محمد حربي نفسه ،وبأن الوضع الداخلي كان " يسوده التعب والإرهاق"[2].

يتأكد الأمر كذلك وعلى صحته من طرف الكولونيل عمر أوعمران "مسؤول إدارة التسليح والتموين العام" لجيش التحرير الوطني وجبهة التحرير الوطني (المكتب المركزي بالقاهرة) في تقريره المؤرخ في 8 جويلية 1958 عن الوضع الداخلي والخارجي فيشير بكل مسؤولية « إن الوضع خطير.... وأن جيش التحرير الوطني تكبد خسائر في العتاد وأزيد من 6000 شهيد من المجاهدين بمنطقة "Duvivier" (بوشقوف) خلال الشهرين السابقين وذلك جراء تطبيق خطة مدرسة بيجار – الموجودة بمدينة سكيكدة- وإذا كان في استطاعتنا تزويد الداخل بالأسلحة في العام المنصرم، فان معاودة تسليحها وإدخال الذخيرة هو من الصعوبة

[1]- طالع محتوى التقرير ضمن الوثيقة رقم 43، صفحة 202 طي " أرشيف الثورة الجزائرية" بالإضافة إلى ملاحظات المؤلف في صفحة 209.

[2]- المرجع نفسه.

بمكان بسبب إقفال الحدود »[1] أي بإقامة السدين الشائكين المعروفين بخطي " شال وموريس" في غرب وشرق الوطن.

إن الباحث المهتم والمتطلع للدراسات التاريخية العلمية والموضوعية بالنسبة "لتاريخ الثورة الجزائرية" يلمس بالضرورة تلك " الأهمية" التي تكتسيها تأليف المذكرات والشهادات من طرف المسؤولين من قادة عسكريين وسياسيين في وقتنا الراهن،- ذلك وحسب مسؤولياتهم ومستواهم الثقافي أثناء مرحلة الثورة – وهو ما باستطاعة هذه العملية الإنتاجية فكريا أن تعوض نسبيا ذلك النقص الذي يعانيه "أرشيف الثورة " "المختزن" هنا وهناك .

إننا لا نعني في هذا الصدد ذلك الأرشيف والتوثيق الذي يتعلق بالثورة التحريرية والذي تحويه وتحتفظ به دور ومراكز الأرشيف الفرنسي (قصرفانسان، آكس أون بروفانس، فرساي، نانت وغيرها) أو ماتحتفظ به الوزارت الفرنسية السابقة والحالية مثل وزارة الدفاع (الحربية) والداخلية الفرنسية والخارجية (QUAI d'Orsy) وما ارتبط بها من مؤسسات وأجهزة مثل الأمن، ومصالح الاستخبارات والهندسة العسكرية والطبوغرافية والطيران الحربي والصحة وغيرها.

ورجوعا إلى اشكاليتنا عن أهمية تأليف وتدوين مذكرات القادة العسكريين والسياسيين الجزائريين لمقاربة تاريخ الثورة الجزائرية، وعند القيام بتحليل مذكرة النقيب أحمد بن سعدون عن الولاية الخامسة التاريخية مثلا ومقارنة محتواها مع محتوى بعض الشهادات والمذكرات الأخرى لشخصيات وطنية كثيرة من عسكريين وسياسيين مثل مذكرة علي كافي عن الولاية الثانية وخالد نزارعن الشمال

[1]-المصدر أعلاه، الوثيقة رقم 41، صفحة 189.

القسنطيني وسي لخضر بورقعة مع الشهادات والمذكرات الأخرى (شادلي بن جديد ،فرحات عباس ،حسين ايت أحمد، محمد بوضياف، رضا مالك، بن يوسف بن خدة، محمد زرقيفي، عبد الرحمان فارس، وعزالدين وغيرهم..).

يستوقف المرأ على بعض المحطات والمظاهر داخل "الثورة الجزائرية" لكي يستنتج أن هناك مواضيع (thèmes) كثيرة لازالت بكرا من جهة البحث العلمي – الأكاديمي تستدعي النخب الباحثة معالجتها مستقبلا كما أن هناك قضايا ومسائل عديدة لازالت عالقة مرتبطة بظروف اندلاع الثورة التحريرية ومجرياتها داخليا عولجت على عجل وتم الافتاء فيها ،تقتضي المزيد من الاستقصاء والتبصر العلمي الهادف والموضوعي المطلوب في مجال البحث.

الخاتمة

كل هذا يرمي بالضرورة إلى معرفة أوجه ومظاهر عديدة ومتنوعة تغلب على الساحة الجهوية بالنسبة لكل ولاية من الولايات التاريخية؛ قد تفرض نفسها مستقبلا كمواضيع ومحاور بحث تاريخي لتضفي مزيدا من الوضوح واستخلاص النتائج الايجابية، علميا وأكاديميا بالنسبة لهذه الفترة الثرية ،1954-1962.

وفي هذا الإطار فان الأمر ملح ويتطلب وطنيا الوعي بالمسؤولية من طرف جميع الفاعلين من سياسيين وعسكريين وأساتذة باحثين وكتاب، وإلا سرقت ذاكرة كتابة تاريخ الثورة التحريرية مع جيلها الأول والثاني.